النسر العربي[1]

حلق النسر في الفضاء بعيدا ،
رجع النسر في الفضاء شهيدا ، —
شهيداً يكفنه السحاب ،
شهيداً تشيعه النجوم ،
شهيداً نعته شمس الضحى ،
شهيداً حملته أكف السماء ،
فكان عليًّا ، وكان وحيدا .

***

نسر العروبة مَدرجَةُ البطحاء، ومشحذ جناحيه جبالُ الرسول.
نسر العروبة حبيبُ الحرَم، وربيب البوادي .
ان البادية مرضعته ، والخيام مأواه، والرمال فراشه وملعب صباه.
نسر العروبة في حمى الحريّة —
طليقٌ جريءٌ، وديعٌ أبيٌّ ، انيسٌ وفيٌّ.
نسر العروبة في ظلال قدسية —
شفيق كريم ، طهورٌ حليمٌ ، قويٌّ نقيّ.
تبارك الحمى ، وتباركت المرابع والرمال.
تبارك الاوتار ، وتباركت السجايا .
فمن جبل النور نورُهُ ، ومن المضارب شعورُهُ .

(١) تليت في حفلات الاربعين لفقيد العرب وكبيرهم الملك فيصل التي اقيمت في بغداد ودمشق والقدس

من قمم الهدى [1] شمائله ، ومن ربيع الطائف زهوره .

***

وقد كتبت له الهجرة ليتمّ الله خلقه فيه.
فكان من العُرْب، وكان من السراة .
بل كان في الصروح الفخمة مثله في بيوت الوبَر .
وكان في المجالس المهيبة مثله في فسيح العَراء .
فمن بساتين يلذ سوسن مبسمه ،
ومن مياه آسية [2] حلو شمائله ،
ومن بلوج الفجر على ضفاف البسفور بهاء طلعته.
ومن ذهب الشفق على حواشي مرمرة ذهبُ نطقه .
ومن ظلال السرو في جوار ايوب تلك الوداعة فيه وتلك السكينه .

***

نسر العروبة ربيب العاصمتين ، عاصمة الرسول ، وعاصمة الخلافة.
عاصمة الحق والهدى ، وعاصمة السياسة والدهاء .
فرجت يد الاقدار شرابه ، وفتحت للنبوغ ابوابَه .
ثم همست في اذن النسر تقول :
ان وراءك ثلاثمائة والف سنة من النُّبل، وامامك ابدية من الآمال.
ان وراءك امةَ الكهف وقد هجعت ستمائة سنة ، وامامك اعلام اليقظة والجهاد .
سمع النسر ووعى ، وراح يغذي الاماني ، ويستنهض الهمم .
ثم عاد الى وطنه ، ليجاهد في سبيل قومه
فاستشق الحسام باسم الله ، وباسم العرب .
ونادى المنادي : الثورةُ ، الثوره
فهبت في البوادي رياح السموم .
وفزع الى فيصل البدو والحضر ،

(١) جبل الهدى قرب الطائف
(٢) اشارة الى ابياتٍ أنشي تدعى مياه آسية تالقة في عمرانٍ مرمره

وهللت للحسين ابيه المدن والواحات .
وكان الجهاد ، وكان النصر ، وكان الفتح الجديد .

***

امة الكهف — ها كها ، بعد ستمائة سنة ، تدهش المستيقظين .
وهاك فيصلها ، وقد كتب لاعلامه الفوز المبين .
ها كه بجيشه الظافر في العاصمة الاموية ،
بل في قلبها ، وقلب ابنائها ، عزيزاً كريما .
هو العيد .
واجل ما فيه دمشق تغرد الاغاريد .
هوذا المُلْك العربي الجديد ،
وهي ذي ربة التاريخ تنبيء بالبعث والخلود .
ولكن هناك ، على ضفاف التيمس ، شهوداً يذبذبون .
وهناك ، على ضفاف السين ، الخصوم .
راح فيصل يستأنف الجهاد في بلاد المهيمنين على مقدرات الامم .
فوقف في باريس ، في مجلس المستهزئين ، ونطق بالحق المبين .
فكان كالحمل بين النمر والاسد[1] .
بل كان ، والحق حليفه ، كالاسد المفرد بين الثعالب والذئاب .
فعاد وحليفه الوحيد يقول : الاستقلال يؤخذ ولا يعطى .
فنشطت الامة ، واخذت حقها .
فكان الاستقلال ، وكان التاج ، وكانت ميسلون .

حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

ليس في حقائق الوجود كلها انصع من حقيقة البعث والخلود .
ليس في مظاهر الكون جمعاء اروع من مظهر الاستمرار والتجدد .
شمس الطبيعة في قلب السنين فتحيي في غسوطها الراحلة املاً ابديًّا .

(١) أي كليمنصو ولويد جورج

يضع الله في حقيبة الربيع المودّع حفنةً من بذوره الخالدة .
يكفن الله الشتاء الراحل بكفن من الثلج المبطن بالأزهار الناثمة حول القبور .
يمر سرب القطا راحلاً راجعاً بين فصلي القنوط والرجاء .
تغرد القُبَّرة على غصنها الطري وتذهب ، ثم تعود الى التغريد .
رحلة يتبعها أوبة ، وأوبة يتلوها رحيل .
ومثل الربيع ، ومثل القُبَّرة ، ومثل عواصف الشتاء ، ما لبث النسر أن عادَ الى الجهاد

***

عاد فيصل ينشد في العراق الامل الاعلى — املَ الامة المنكوبة بالانتدابات وبالجهل[1] — املاً ضاع وما اضمحل .
عاد يشيد على ضفاف الرافدين ملكاً عربيًّا جديدا .
عاد يجدد في عاصمة الرشيد والمأمون عصر العلم والهدى : عصر المدنية والفلاح ، عصر الثقافة والنور .
ولقد شيد الملك وجاهد اثنتي عشرة سنة ليوطد اركانه .
وما جاهد هاهنا بسيفه ، بل بما هو امضى وأعزّ واغلى .
جاهد بعقله ، جاهد بقلبه — وجاد بعد ذلك بروحه .
جاهد بكل ما استطاع ان يحشد وينظم من جيش السلم والولاء — من العلم والحكمة ، من الحلم والكياسة ، من ثبات عند اليقين ، من دهاء يبرره الحق المغلوب ، ومن حزم تقتاوبه الصلابة واللين .
وكانت محجته واحدةً في كل حال من احواله — واحدةً ناصعةً بارزه ، لا تغيرها الاحداث ، ولا تحول دونها قوى المسيطرين .
وحدة العراق وحرية العراق واستقلاله ، تلك هي المحجة العليا .
وكانت الطريق اليها كدرب الصليب الى الجلجثة .
لله انت يافيصل العرب ويارب الوثام ، ياسفير بيت الرسول ويا صفي المسيح .
فقد حملت صليب العراق والانكليز اثنتي عشرة سنة كاملة .
وقد اجتزت المراحل المضنية المخزية كلها ، وانت تبتسم وتكظم وتمشي — تمشي سامد الرأس ، عالي الجبين ، شديد اليقين ، وضيء الامل .

(١) اشارة الى نصف البلاد العربية الشمال ونصفها الجنوبي

قلت : تمشي ، وما قلت : تطير .
فكم مرة طرت لاغراضك العالية وأمعنت .
كم مرة تحديت ، على تحول جسمك ، العواصف والانواء .
لقد كنت حقًا نسر العروبة بين العاصمتين ، عاصمة الرشيد وعاصمة ابناء العمل
الصامت اولي الوجوه المشرقة والقلوب المغلقه .
وقلت إنه حمل الصليب اثنتي عشرة سنة وهو يبسم ويكظم على الدوام .
عفوك ايتها الروح الزكيه ، اذا انا قلت الحقيقة كلها .
فقد بكى فيصل ، ايها الناس ، نعم بكى . وما رأت الأمة ، عين قلبه الدامعه ، وما
سمعت جهش قلبه الاليم .
حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

سيدي فيصل ، قد زرعت بستاناً في العراق ، ورحلت قبل ان تراه مثمرا .
قد زرعت بذوراً في البلاد العربية ، ورحلت قبل ان تراها في ازدهار .
زارعٌ يزرعُ ، وحاصدٌ يحصدُ ، وقمرٌ يسخر ولايستقيم .
ولكنك اليوم وغداً رمز هذه الامة وشعارها ، وقلبها وعقلها ومنارها .
وان في نور هداك لسلك السالكون والمجاهدون .
وان فرخ النسر لفي مقدمة المجاهدين .
فهو الغازي ، وهو للعهد ضمين
ولما كنت عليه الخلف الكريم
فقد كنت في الحرب فيصلاً عاصلاً ، وفي السلم الوديعَ الجريءَ الصفي .
كنت في السياسة عينها الباصره ، وميزانها السوي .
كنت في الكياسة طلعتها الساحرة ، ونطقها الذهبي .
كنت في الحذق عنوانه ، وفي الحزم برهانه ، وفي الشدة واللين المثل العليّ .
كنت في الدهاء معاوية ، وفي الصبر والاباء الشريف الرضي .
كنت في الحلم صِنْو الرسول ، وكنت في الوداعة ابا الناصري .
لقد انرت قلوب المهيمنين هناك على ضفاف التيمس والسين .

فصاروا يرون ما تراه حقًّا، ويكبرون جهادك في سبيله .
ولكنهم اعداء انفسهم ، فلا يرضون ولا يعدلون .
بل هم عبيدٌ للبعل ، وبعشيئته هم مسيَّرون .
انتا محبوبون لاخواننا هناك ؛ فنريد لهم الخلاص من البعل .
نريد لقوتهم شيئًا من الحق ، ولا يريدون لحقنا شيئًا من القوّة .
وهم مع ذلك يبسمون ويجاملون .
اولو الوجوه المشرقة والقلوب المغلّقة انهم المبلبلون .
او هي الاقدار الباسمة الساخره .
تفرش لفيصل الرمال الذهبية في مدينة الضباب ، [1] وتغدر بامة فيصل يوم تكريمه واجلاله —
تطعنها ، يوم عيده ، في الصميم .
عاد فيصل طائراً مؤاسيا .
ضمد فيصل جروح الامة ، وانعش قلبها .
ثم عاد المؤاسي ينشد في جبال الالب بلسماً لقلبه ، مرهماً لجروحه .
طار مجاهداً — طار مستشفياً — طار مستشهداً — جاد بروحه.

***

حلق النسر في الفضاء بعيدا
رجع النسر في الفضاء شهيدا —
شهيداً يكفنه السحاب ؛
شهيداً تشيعه النجوم
شهيداً نعته شمس الضحى ،
شهيداً حملته اكف السماء ،
فكان عليًّاء وكان وحيدا .

الفريكة لبنان في ٢٠ (سبتمبر) سنة ١٩٣٣ امين الريحاني

(١) عندما وصل الملك فيصل الى لندن في زيارته الاخيرة ، فرشت له الطريق من المحطة الى القصر بالرمل الاحمر رمزاً للبلاد العربية واكراماً للملك العربي العظيم.